

جامعة سطيف 02

كلية العلوم الإنسانية

قسم الفلسفة

الموضوع: المحاضرة الافتتاحية لدروس الماستر 1 عامة، M1

المقياس: مصادر فلسفية.

للسنة الجامعية: 2021-2022.

الأستاذة في المقياس: تونسى سعـاد.

عنوان المحاضرة: الفينومينولوجيا / S2

هوسرل 1859 مورافيا-1938 فريبورغ

أ- فينومينولوجيا الوعي

هوسرل 1859 مورافيا-1938 فريبورغ.

الوحدات السبيلوغرافية:

1- الأبحاث المنطقية (1900-1901).

2- فكرة الفينومينولوجيا - 1907

3- الأفكار I، 1913

4- الأفكار II، 1913

5- أزمة العلوم الغربية والفينومينولوجيا المتعالية، 1936.

ملاحظة:

أول أعماله فلسفة الجبر 1891

آخر أعماله التجربة والحكم 1938

أهم أعماله: التأملات الديكارتية -1929

نظرية الحدس الخالص: تأسيس الفكري انطلاقا من الحسي

في الأبحاث المنطقية وفي البحث السادس وحيث فيه يتناول هوسرل مسألة التمييز بين ملكتين هما ملكة الفهم وملكة الحاسية. والغاية التي كان يسمو إليها هو دحض الأفكار السابقة التي ترسخت في الأدبيات الفلسفية التي سبقته حتى كادت تصبح أقانيمًا فكرية مقدسة ومن بين هذه المقدسات الفلسفية الشائعة والراسخة هي الفكرة القائلة بأن الحكم يكون بديهيا و مستقلا عن أية خبرات تجريبية حسية، أي من دون الرجوع إلى الخبرة الحسية الخارجية:

حيث تقر هذه الفكرة أن للإنسان ملكات بديهية وفكرية تؤهله لمعرفة الحقائق. وهذا ما يفسر أن الأحكام بديهية وطبيعية. وهذه القدرة الحكيمة الأولية هي الأفكار الفطرية في لغة ديكارت وفي لغة كانط تسمى بالمقولات القبلية. مفادها أن للذات الملكة على إتيان الحقيقة بصورة سابقة لأي تجربة بل ولا تحتاج إلى الخبرة الحسية في العملية الإدراكية، إنما هي متكونة في الذات كمعطى أولي وطبيعي. حاول هوسرل إذن أن يعيد النظام الإبستيمي للذات العارفة، بل ذهب إلى فكرة أساسية في تحليله لملكة الحكم الخالص إلى إقامة فكرة أساسية في الظاهرية والتي سيتأثر بها لاحقا كل الفلسفات التي جاءت تبعا لهوسرل. وفحوى هذه المحاولة في تحليله للأحكام الخالصة تبين بأن الإدراكات الحسية كخبرة مباشرة معطاة من الحاسية هي التي من شأنها تأسيس الأحكام الخالصة وتكوين المفاهيم المطلقة.

وفي الثلاثينيات من القرن الماضي وفي المنشور الذي نشر بعد وفاته " التجربة والأحكام" جاء فيه توكيدات من شأنها ترسيخ الفكرة الأساسية للبناء الظاهراتي والتي تتمثل في كون الأفكار الخالصة كالمفاهيم المجردة والتصورات الفكرية الخالصة و هي فعل من افعال المجتمع البشري كنتيجة لصيقة بتجربة البشر في معاشهم وإحتكاكهم ببعضهم ببعض،

فالأفكار الخالصة تعود نشأتها وفقا لهذه الفكرة الأخيرة على الفعل التاريخي واعتبارها إبداعات واختراعات إنسانية أكثر مما تعد أكثر على أنها اكتشافات بشرية.

ومن خلال هذا الطرح نقف عند فكرة هامة للغاية والتي يقر من خلالها هوسرل بوجود النظر إلى الأحكام الخالصة على أنها تبقى محافظة لخصائصها ذاتها أيا كان الزمن ومهما تعاقبت عليها الأزمنة عوضا من النظر إليها على أنها خالدة وأبدية.

ويميز في الأفكار الخالصة بين ما هو: **الأحكام المطلقة الحرة** وهي الكيانات المنطقية والرياضية وثانيا **الأحكام المطلقة المقيدة** وهي الموضوعات الفكرية المجردة مثل الإنجازات الفنية والموسيقية والأدبية.

"ما نميزه هنا هو أننا نريد إعطاء تفسير عن كيفية

نشوء الأشياء داخل إطار الزمن وليس

خارجه بالرغم من مفارقتها له وتجاوزها له بفعل

طبيعتها كأشياء حقيقتها مطلقة لا تتغير".

بالنسبة لهوسرل فإنه لا يوجد شيء في العالم إلا وكان خاضعا للزمن ولا يستثنى من بين الأشياء الأنواع الفكرية منها الخالصة وتلك الحسية الأخرى.

II / جينالوجيا الفكر:

- شجرة الوجود الجينالوجية للأفكار الخالصة:

- النشأة: قبل أن نعرض لرأي هوسرل حول نشأة وأصل الأفكار الخالصة، وقبل أن نعرض تحليله هو عن كيفية نشوء الفكرة المطلقة فإنه من لضروري بالنسبة للباحث أو القارئ أن يستحضر الموقف التقليدي من هذه المسألة وإنه يحضر في أذهاننا "الميمائزس" التي

أسست لعالم حقيقي تحيا فيه الأفكار الخالصة حياة واقعية، وليس منهج التذكر إلا حجة ميتافيزيقية لتأسيس الأفكار الخالدة والأبدية وانفصال العالم الطبيعي عن العالم الحقيقي يتم بامتلاء الوعي بحقيقة بديهية وهو أن العالم المحسوس يحاكي العالم الحقيقي، هذا المنهج يسمح للنفس باستعادتها للحقائق التي شاهدها وألفتها في حياتها الحقيقية الأولية وإن بعودة النفس إلى حقيقتها (المعرفة) تكتمل طبيعتها لأنها في توافق وتناغم مع لطبيعة الخالصة لها عندئذ فقط يمكن الحديث عن تناغم النفس بجوهرها كماهية.

وأما الشق الثيولوجي فإنه يرجع نشأة الحقائق الخالصة إلى الفكرة -الماهية- إلى الذات الإلهية، وفق النظرية الإلهامية فإن الروح ترقى إلى ربها لأنها هي الكلم الإلهي ومن وحيها تنبعث في الذات المعرفة الكاملة والحقيقة المطلقة وما الكتب السماوية ما هي إلا الألواح المقدسة التي نزلت من السماء لترسو على الأرض. فالحقيقة يلقيها الله في النفس المختارة ويلقي بنورها لتشرق النفس بكلمات نورانية تعرف الهدف معرفة كامنة محايثة لها.

وبذلك توصف المعرفة بالكمال حتى اطلق عليها لفظة التيارات المثالية من جهة ومن جهة أخرى لأن في المقابل تصدت لها تيارات تجريبية مادية محاولة تجاوزها وإرجاع القوة الإدراكية الحسية إلى مكانها الطبيعي الذي هو النفس الحية بإحساساتها الجزئية.

أما بالنسبة لهوسرل فإنه لا يضع مصطلح المثالية الفينومينولوجية كمجرد نقيضة فلسفية لدحض الاتجاهات المثالية الكلاسيكية كما إنه لا يقره إقرارا مذهبيا ويتخذ من خلاله موقفا حاسما من الإشكالية ولكنه في إقراره للأفكار الخالصة -الماهيات- عبر تحليله الأحكام الخالصة إنما يسعى إلى تقديم فلسفة ومنهجية تأملية خالصة تنبع من الذات الواعية التي تعبر عن حقيقتها برجعها إلى ذاتها كذات واعية ولا يتم ذلك إلا عند عودتها إلى ردية فينومينولوجية باعتباره المسلك والوجهة الوحيدة التي تؤسس للماهيات بحيث تفصح الذات عن ماهيتها الخالصة بواسطة شعور طبيعي يسمح لها بالإيمان بأن الأشياء هي وقائع

معطاة واقع قائم أمام الشعور الذي يكشف لذاته بأنه وعي متعالي ترانسندنتالي لما يمتلكه من طبيعة شعورية قادرة على إعطاء المعاني الخالصة وإدراكها للجواهر الماهوية الكامنة في كل شيء وفي كل الموضوعات بمجرد أنها تؤسس لوجودها هذه هي الفينومينولوجيا التي يصفها هوسرل في درسه عام 1907، بكونها العلم الترנסندنتاني لأن فيه تجاوز للمعطى المباشر كإدراك النفس الظاهرة من الظواهر أو إدراكها للموضوعات كإحساسات مباشرة تقرها الحواس إنما في الفينومينولوجيا فإن الشعور يكون مفارقا لهكذا إدراكات مباشرة ذلك لأنه لديه القدرة على فهم الفعل المؤسس للوظيفة الشعورية في ذاتها. حيث في هذا المستوى أي عند مجال الموضوعات يتمكن الشعور (الذات) كحالة من إقرار المعنى لما هو مفارق ومتعال ونقصد هنا عالم الموضوعات كعالم مفارق متعال.

"النشاط الفينومونولوجي ليس بالأمر الهين أو المبتذل كأن من خلاله علينا ممارسة فعل النظر والرؤية -رؤية العالم- الظاهر ومشاهدته بالعين المجردة-، كأن من خلال ما علينا إلا إبقاء الحدقة مفتوحة- لنتمكن من رؤية " الأشياء التي توجد هاهنا والتي لا تحتاج إلى شيء سوى ان يقع عليها النظر".

ومن التعليقات الفلسفية الرائجة في الأوساط الفلسفية الغربية حول هذا القول الذي سقناه أعلاه تلك التي تفيد هذا القول: " لا تتوقف الفينومينولوجيا كمذهب فلسفي على مجرد وصف للمعلومات التي تتواجد هاهنا كأشياء معطاة فقط وإنما ما تسعى إليه الفينومينولوجيا هو النظر إلى الأشياء برؤية جديدة، حيث يتم من خلالها تفسير بنية الأشياء في داخل الشعور كحيز للذات يتم فيه الوعي بهذه الأشياء متجاوزا في الآن ذاته طبيعته التصورية الإدراكية للأشياء كموجودات ذات لوجود المسبق أي كظواهر معطاة، ليكون الحيز الذي يمد الظواهر معانيها". ومقرا بحقائقها وما هيته ولا يتجسد بوضوح، كون الوعي حيزا يمد الظواهر معناها الحقيقية الماهوية إلا من خلال المنهج الإبوخي-منهج التعليق

الفيينومينولوجي وفيه يبرز الدور التأسيسي للوعي وذلك عندما يضع بين قوسين المعطى الطبيعي للخبرة الحسية.

-ثنائية الوعي والعالم:

-الإبوخ- التعليق الفيينومونولوجي

يؤسس هذا المفهوم لإقام ثنائية فلسفية -الخورسموس- بين من جهة الوعي والشعور ومن جهة أخرى العالم.

ونحن نحلل هذا المفهوم الذي هو الردية الإبوخية الفيينومونولوجية نقف عند مفهوم الثنائية التي تفصل بين وجهتين إثنيتين هما من جانب الوعي كذات مطلقة الوجود ومن جانب آخر العالم الذي يتصف بطبيعة نسبية الوجود. كيف يصف هوسرل هذا التناقص القائم وكيف يصدره لنا. يقول عنه في الأفكار- ص163: " إنه الانتفاء الحقيقي للحاسية". حيث يوضح لنا الطبيعة غير الجوهرية للحاسية وكونها إمكانية من إمكانات الواقع. ويعرض لفرضية نهاية العالم مبينا ومناقشا إمكانية عدم التوافق القائمة بيننا حينما نقوم بتجربة واختبار الأشياء من حولنا، كما أن تصوراتنا الأولية قد تبقى دونما وجود ما يثبتها ويؤكدها ونفتقد لآلية التحقق منها، كما أن تجاربنا المعيشة قد لا تتوفر فيها الانسيابية والتواصل بين الخبرات المختلفة دونما وجود رابط يربط فيها بينها لتشكل كلا متكاملًا.

بل قد تبقى متجزئة ومنفصلة في شكل أحداثها، بل وقد تبقى الجوانب المختلفة للظاهرة متقطعة وما نراه منها وما يبدو لنا منها لا يمدنا بإمكانية الإقرار حول ديمومتها ووحدتها الماهوية، وبكلام مختصر آخر، قد نخوض تجربة ولا نحصيها ولا نعيها في حقيقتها الماهوية لأنها تبقى تجربة خاصة أو جزئية تفتقد إلى النظام الذي يجعل منها ظاهرة بالمعنى الماهوي التي تشكل العالم، بل تبقى عند مستوى الخبرة المتجزئة والفاقدة للوحدة التي تكسبها التناغم بل تبقى مبعثرة وعشوائية الجهة، وهذا الامر يفقدها كونها عالما

للأشياء الثابتة. في هذه الحالة سيتأثر الوعي لأنه غير موجه نحو عالم ذا واقع ثابت ويظهر بهذا التأثير من خلال تأثير تأثر الوعي من خلال الخبرة المعيشة المتحورة وبالرغم من كون الوعي في حالة تشويش وتقطع إلا أنه لا يفقد حقيقته بل ما يظهر هو تدفق للخبرة المعيشة بصورة عشوائية تحمل معها سلسلة متقطعة من الخبرات الجزئية. وبالرغم من هذا الشأن إلا أن الوعي يتمتع بوجوده وجودا مستقلا عن الحياة اليومية التي نلتمسها في الخبرات الكثيرة.

فالحياة التي يتسم بها الوعي مغايرة مختلفة تماما عن الحياة اليومية العادية في الواقع المعيش.

الحجة التي يفيدنا بها هوسرل أمام هذه المعضلة وليثبت سلامة واستقلالية الوعي عن الخبرة الحياتية المعيشة في كونها لا تؤثر فيه، يورد لنا مثلا يبرز من خلاله جوهرية الوعي المستقلة. حيث يرى بأن الوعي يبقى محافظا على ماهيته في أثناء قصده وتوجهه نحو العدم. وبالرغم من كون الواقع الخارجي يتصف بصفة العدمية التي هي اللاشيء المطلق، وهو النفي المطلق إلا أن هذه العدمية لا ينتفي الوعي عندما يقصدها كعالم - ظاهرة - مستقلة عنه بل يبقى محافظا بحقيقته ولا ينتفي وجوده مع قصده إلى وجود منتف حتما في ظل العدمية.

يستحضر هوسرل عند هذه النقطة "الكوجيتاتوم الديكارتى" الذي يطرح من خلاله أن الأنا يبقى متماسكا وصلبا في حقيقة وجوده بالرغم من إنكاره وشكك المطلق بالعالم الخارجي بينما الفكر يبقى محصنا بطبيعته البديهي في حقيقته البديهية اليقينية بوجوده.

ولكن الكوجيتو لديكارتى يطرح مسألة قيام الجوهر بينما هوسرل يطرح مسألة الوعي كوجود مطلق والواقع الترانسندنتالي، المفارقة التي نقف عندها وهو أن الوعي بالنسبة لهوسرل لا يحتاج إلى الحجة الوجودية ليكون، بينما ديكارت في "الكوجيتو" يمر على الواقع الحسي

ليشك فيه ليتم إثبات وإقرار "الفكر" أما الواقع عند هوسرل فهو متعالي بالنسبة للوعي المتحقق، إذ ان الوعي يكون دائما شعور ب.....،

"الشعور هو، من جهة الماهية شعور ب.... ، وحسب ما هيته هو فعل ولهذه الأفعال روابط تعمل وفقا للغائية المحايثة و المنظمة بها. إن النظر للشعور باعتباره فعل، وإذا اعتمدنا النظر بداخل هذا الفعل نتمكن من فصل وتمييز المسالك والروابط المختلفة التي تؤدي نحو اتجاه التفكير الخالص الممكن، وإن الحدس بالمعطيات الفكرية (النويز) وبموضوعاتها (النويم) التي توجد بداخل تلك الاتجاهات المتداخلة والمسالك المتبادلة هذا وعند هذا الحد - أؤكد- هو ما يجب أن نتعلمه بجهد مضني، حينئذ وحينما نفعل ذلك يحصل لدينا الفهم ونتمكن من التحقق ومن اختبار نتائج المنهجية الفينومونولوجية".

فإذا كان الكوجيتو الديكارتي يطرح مسألة الأنا كمفهوم مجرد ومطلق [أنا أفكر] فإن الأنا عند هوسرل ليست وفقا لهذه الطبيعة الصورية المطلقة بل الأنا حية حياة حقيقية في العالم الخارجي بحيث يؤكد أن الأنا هي التي تقوم وجود العالم الخارجي، وتضعه وضعا، الأنا الحية والمفكرة -أي الواعية بذاتها لحقيقة ذاتها، وليس يقصد بها الذاتية الصورية المجردة.

وعليه تبعا لما تقدم فإن عالم الأشياء والموضوعات المتعالي يخضع كليا للوعي ذي الطبيعة المحايثة.

إذا كان العالم تابعا للوعي فهل هذا يجعل من الحضور والكينونة فيما بينهما علاقة اللاحق بالسابق؟

الأمر ليس كذلك فبالرغم من خضوع العالم للوعي، إلا أنهما ليسا منتظمين متراتبين حيث يكون الأول يتبعه الثاني إذ أنهما يقعان في علاقة و يرتبان معا إلا في حالات ظرفية فقط ذلك أن الوعي يتمتع "بواقع" مستقل تماما عن العالم حيث وأن الوعي قد لا يقصد العالم ولا يتوجه إليه بقصدية في الكثير من الأحيان إنهما وبالرغم من خضوع العالم للوعي ليسا يمثلان وجهين لعملة واحدة إنهما متميزان.

" يمكننا أن نقول عن كل من الوعي والعالم بأنهما "موجودات" أو القول بأنهما "موضوعات" وهما مقولتان منطقيتان فارغتان من الفحوى، إنما مجرد أسماء فقط".

حيث يظهر من خلال هذا القول أنه إذا اعتبرنا تحديد طبيعة الوعي الماهوية فنقول عنه بأنه مفهوم مطلق وأما طبيعة العالم كموجود فهو مفهوم نسبي. فالوعي مطلق بينما العالم نسبي.

الوعي إذا كنا نقصد به الأنا السيكولوجية أي الشعور التجريبي الحسي فهو وعي واقعي ينتمي بدوره إلى الواقع المتعالي الترانسندنتالي.

أما الوعي عندما نقصد به الوعي الخالص المتعالي فإنه يعني النظام البنائي للوجود الخالص المطلق ولا يمكنه التواجد في حقيقة الواقع الزماني والمكاني أي العالم الخارجي كما نعرفه ونلتمسه يوميا.

أما الواقع أو ما يطلق عليه باسم الواقع الحقيقي فإنه من لواحق الوعي، والأنا المتعالية ليس لها ما نطلق عليه باسم وجودا في ذاتها ولكن لديها وجودا في الوعي ويكون وجودا قسديا حيث لا يتحقق كوحدة ماهوية إلا في داخل الوعي ولا يمكن له أن يكون أو أن يوجد إلا في الوعي وينتقي تماما خارجه.

إن الفصل والتمييز بين الذاتي والطبيعي يؤدي بنا إلى الفصل بالضرورة والتمييز بين مفهومي التجريبي و الترانسندنتاني.

- طبيعة الوجهة المتعالية:

وفيها تكون الانطلاقة أولاً من الأنا الذي يملك قدرة التعالي نحو العالم، والتي يعبر عنها في قدرته على تأسيس وبناء الموضوعية.

فالوجود يعني الوعي ولا يعني العالم الذي هو لا شيء بالمفهوم المطلق، فالعالم لا يتسم بصفة الوجود إلا من خلال الوعي الذي يعطيه معناه بمجرد أن يصبح تصوراً في الوعي فالعالم يوجد من خلال القصدية.

فمن خلال التعليق الإبوخي يتأكد وبوضوح انبثاق الوعي الخالص إذ إنه العنصر الأساسي الوحيد الذي يبقى العالم لا شيء -عدمي- لأنه وضع بين قوسين خلال عملية التعليق والرديّة الإبوخية والتي من خلالها يتم اللقاء بين الوعي والأنا الخالصة للوي كذات مؤسسة للمعنى قادرة على بناء معاني الواقع.

ومن حيثيات هذه الرديّة الإبوخية أنها الوسيلة التي تسمح للوعي بتأسيس المعرفة الصحيحة الصادقة، وذلك ليس إثر العودة إلى الواقع والعالم الخارجي عند عملية التعليق أثناء عملية التعليق ولكن بالرجوع إلى الذات الواعية التي تقر الحقيقة المحايدة لها وليست مفارقة لها.

ولعل هذا الذي جعل هوسرل يفسر العملية المعرفية عملية واعية وهذا الذي يظهر في مسعاه في أن الوعي هو المؤسس للواقع.

ويفسر هذا الأمر في أن الذات كشعور آني محدود يمدنا بإدراك الوعي كذات مطلقة، الشعور بذلك الأنا المطلق الذي هو مفارق لأية بداية أو نهاية.

نلاحظ عند هذه السطور ملاحظة هامة تتعلق في اقتران موقف هوسرل من موقف ديكرت ي تمييزه بين ثنائية الوجود والفكر وهذا ما يتبين في الأفكار II, Ideen تر:

1982، عندما كان هوسرل يتبنى وجود علاقة بين الوعي والعالم وبخاصة في تبيان تأسيس الطبيعة الجسدية وبين الروح أو النفس.

ولكن هذا الموقف سرعان ما تجاوزه في الأزمة، KRISIS ، 1976، حيث يرجع نشوء الثنائية إلى الخلفية العلمية التي فصلت بين العالم الفيزيائي المادي (الجسدي) وبين العالم (الشخصية) كأنا وكشعور وكلاهما عالم موحد غير منفصل. يرجع هوسرل الثنائية كمبدأ يعبر عن مرحلة تاريخية التي عبرت بها أوروبا ويرى بأنها تمثل حقيقة الحقبة الوسيطة للعقلانية الغربية التي أفرزت انفصال العلوم وتخصصها كما نتج عنها تجزأ المعرفة.

"الفيينومينولوجيا" قادرة على تخليصنا من الفكرة الحديثة التي تؤسس لمادية الروح" أو بالأحرى الفكرة التي سادت في العصر الحديث والتي تؤسس كمفهوم فيزيائي للروح واعتبارها كعنصر من عناصر الطبيعة. بينما الطبيعة في مفهوم هوسرل هي تجربة الذات المعيشة الحقيقية عبر الفيينومينولوجيا حيث يختبر الإنسان خبرة معطاة قبل التجربة وقبل اي مفهوم تجريبي

حيث من خلالها يعود الإنسان إلى الحياة على مستوى عالمي الحياة حيث يمارس تعايشا جسديا وليس روحيا فقط وهو مستوى "التجربة المعاشة الحقيقية" حيث يبدو أنه للجسد دورا هاما في تأسيس الوعي كما ورد في الافكار II.

بينما يؤكد العكس في الأفكار I 1950، بحيث يرى بأن الجسد ليس ضروريا بلل ولكن التخلي عنه في إثباته لإمكانية الذات في تفكيرها كذات واعية من دون الجسد.

ولكن أهمية الجسد في تمكين خبرة المعيشة كطبيعة قبل أي معطى طبيعي تجريبي يجعل عملية الوعي تأسيسية لعلاقة الروح والجسد كوحدة في مفهوم فيينومينولوجيا الذات وذلك كمستوى للحدس.

ولما كان عالم الحس وحدة كلية وليس جزئيات الحدوث، فإن دور الجسد يصبح مهما للغاية لتمكين فعل التواصل والتوجه لعالم الفكر، ما يجعل هوسرل يؤكد بأن الله في تواصله مع الإنسان يحتاج إلى جسم وأجساء حسية (الصفات الجسدية، اليد، العين، الساق) يتجاوز هوسرل النظرية الكانطية التي في هذا الشأن تضع المعرفة البشرية مميزة إياها وفق الطبيعة البشرية والتي من أهم صفاتها الفناء.

فالإنسان وفقا لهذه الفكرة كائن مختلف ومغاير للذات الإلاهية التي من صفات الله أنه ابدى وأزلي وخالد. الأمر عند هوسرل بأنه وضع مسلكا وطريق واحدة للحدس، ولم يصنف الحدس إلى ثنائية من جهة وعقلية من جهة أخرى إنما اتجأه واحد لا غير وهذا يتوافق وفلسفته عن فينومينولوجيا التحقق والتجسد في ظهور الفكرة كوعي خالص، تقف امام الذات وتتكشف بذاتها لتمكين الذات من احتواءها احتواء ظاهريا. في الأفكار ال، يؤكد هوسرل أن الأنا المتعالية، الوعي الخالص خالد ولا يفسد بينما الإنسان الجسد هو فان ويموت بينما الأنا لا يولد ولا يموت إنه أبدى وخالد. وفقا لما سبق يمكن أن نخلص إلى فكرة أساسية تضيء لنا الجوانب المظلمة التي لا نكاد نستوعبها في فينومينولوجيا الظاهرة وهو أنه يجب أن لا ننسى أن التعليق الإبوخي أو الردية الفينومينولوجية تقوم على مبدأ الذي يتفرع منه فكرتين هما:

1- التمييز بين مبدأي الطبيعة والذاتية.

2- التمييز بين مبدأي التجريبي والمتعالي.

وليكتمل الفهم لدينا بالنسبة لهذه المبادئ الفلسفية فإنه وجب علينا العودة إلى الفعل المتعالي في ذاته وتحديد به حيث إن فعل التعالي كعملية ووظيفة للذات فإن الأنا كذات بشرية أي أنا ذات نهاية محدودة في الزمان والمكان تمتلك بالرغم من هذه الطبيعة المحدودة القدرة على التجاوز والتوجه إلى العالم قاصدة إياه متجاوزة في ذلك طبيعتها

المكانية الزمانية وهذا عندما تؤسس للموضوعية في فعل المعرفة. فالنشاط المعرفي أو إدراك الخالص غايته هو البحث أو التوصل إلى الصدق إلى معرفة الحقية الموضوعية للعالم وهذا أكبر دليل على أن الذات العارفة هي متعالية بالنسبة لهوسرل. ذلك أن المتعالي هو حيز للموضوع وليس حيزا خاصا بالفكر " كأنا". إذ إن هوسرل يؤكد على أن عندما يفكر افكر في ذاته أي عندما تمارس الأنا تفكيراً في ذاتها يكشف هذا الأمر على أنها وعيا متعاليا ولا يكون ذلك ممكنا إلا من خلال الردية الفينومينولوجية أو التعليق الإبوخي. حينما يوضع المعطى الطبيعي الحسي تتكشف بذلك قدرة الفكرة البناء والتأسيسية للمعرفة.

II- الوجود المتعالي

هيدجر 1889-1976.

الوحدات البيبليوغرافيا

1- الوجود والزمن، 1927.

2- المشكلات الأساسية في الفينومينولوجيا، 1927.

3- ما الميتافيزيقا، 1929.

4- دروس لفينومينولوجيا الشعور بالزمن، 1964.

5- مؤتمر زهرنغن، 1973.

II / الوجود المتعالي: نقض هوسرل في نصوص فرايبورغ وماربورغ.

I-1 فينومونولوجيا الداينين ≠ في مقابل فينومينولوجيا الوعي.

فكرة التعالي أو الترندسندنتالي تضعنا امام معضلة فلسفية تتعلق بمبدأ الوجود كوجود في ذاته كمطلق وهذه المعضلة تعود جذورها إلى محاورة السوفيستائي، حيث مفهوم الوجود في ذاته هو ذاته الوجود وفقا لمقولة بارميندس eon-emmenai . وإن كانت فكرة الوجود غير متميزة عن الموجود بالنسبة لأفلاطون إلا أنه حاول أن يبتعد عن التفسيرات قبل السقراطية والتي رأى فيها مجرد محاولات فلسفية لإعطاء مفهوم الوجود ولكن تلك المحاولات لم تنجح في نظره لأنها لم تصل إلى تحديد "الآيسيات" وذلك بسبب أنها استعملت لاقتربها منها مفهومات أخرى مستعينة بها لكي تعرف ما حقيقة ذات الشيء مثلما فعل طالس عند إرجاعه الأصل (الوجود) إلى موجود آخر هو الماء. ولعل هذا ما جعل أفلاطون يقر بأن الفلسفة تبدأ عندما نبتعد القصص ولذلك عندما عرف الفلسفة قال بأنها علم الوجود من حيث هو الوجود في ذاته وحقيقته.

تساءل هايدجر هو أيضا عن الوجود ولكنه لم يطرح إشكالية الوجود من حيث لمفهوم أي كجوهر ولكنه بحث عن الشروط الممكنة للوجود كوجود. أي اقترب من الإشكالية مقارنة علمية حيث إنه يضع رؤية جديدة تسعى إلى وضع علم الكينونة في نصه 1927، حيث يقر بأن الوجود في ذاته لا يمكن إقراره بأنه موجود ولكن وحدها الكينونة هي التي تحظى بصفة الوجود. ولعل هذا ما يظهر في نص له 1929، حيث فيه يناقش موقف هوسرل من مسألة المحايث والمتعالي والتي ربطها هوسرل بفعل القصدية للوعي المتعالي. بينما يطرح هايدجر متجاوزا استاذة فكرة حقيقة الوجود ليس بارتباطها بالمحايث وإنما حقيقة الذات. تكون الات الكينونة "الداينين" وليس الذات المحايثة. ومن خصائص الكينونة أنه ليس كائنا كباقي الكيانات لوجودية إنما الداينين زمني انجذابي extatique: يقول

موضحاً " ينكشف الوجود عند الدازين في نصه 1927. حيث يقرب بين الطبيعة المتحركة أو الانجذابية الخاطفة التي يتصف بها الزمن وبين فعل التعالي والذي لا يعني شيئاً آخر سوى وجود العالم. ذلك لأن تحقيق لتعالى والتوصل إلى ذلك المستوى لا يحصل للذات المنغلقة أو المنغمسة في حاضرها ولكن فعل المعرفة معرفة الدازين لا يكون إلا من خلال تكون نظرة كلية للأشياء المختلفة وذلك بالعودة القصدية نحو الموجودات والتقاطها في حقيقتها أي إدراكها في كينوناتها، لا كمجرد موجودات في العالم ولكن التمكن من إدراكها في حقيقتها الكينوناتية.

لما كانت الأنطولوجيا التي أسسها هيدجر تقوم على فعل أساسي للدازين وعلى الصفة لمتعالية التي يتصف بها والتي من خلالها يتحقق له معنى الوجود فقد أطلق على علم لوجود الي أسسه هيدجر بالعلم المتعالى او الفلسفة المتعالية.

هذا لا يعني شيء آخر سوى إضفاء الصفة المتعالية الخالصة لطبيعة الوجود في مقابلة لطبيعة الدازين والتي سوف يصفها فيما بعد في نصه 1949 بكونها طبيعة الدازين اللاكينونة أي العدم. حيث وأنه لا يمكن الحديث عن فكرة التعالي إلا ونستحضر البعد الميتافيزيى الذي يؤسسها ولعل النص اذى يأتي يقرب المعنى أكثر حيث يقول في تعريفه ما الميتافيزيقا؟ " من نقطة بدايتها إلى حد انقضائها تتحرك متنقلة في غموض وضبابية مستمرة بين طرفي الكينونة من جهة والوجود من جهة أخرى" ولعل استحضر هيدجر لقصة ميتولوجية دليل على المأزق المنطقي الذي يصطدم عنده إذ يقص قصة تعود إلى الادبيات الألمانية والتي تحمل عنوان الأرنب والقنفذ في " قصص غريم" حيث فيها يتسارع كل من القنفذ والأرنب ولما يعلم القنفذ أن الأرنب أسرع منه لا مجال لغلبته فإنه يلجأ إلى حيلة حيث يطلب من زوجته أن تتظاهر بالركض وهي متواجدة عند نقطة الوصول. فالأرنب يركض بين النقطتين البداية والنهاية لكن دون جدوى كلما وصل إلى نقطة يجد القنفذ هناك والذي يقول له أن هنا موجود".

والأمر سيان بالنسبة لنا إذ عندما يتعذر علينا التمييز والتفريق بين الوجود والكيونة إننا نجد الوجود حيث نبحث عن الكيونة وكلما بحثنا عن الكيونة وجدنا الوجود.

ولتجاوز هذه النقيضة الفلسفية فإن يدجر يلجأ إلى استحضار مفهوم الزمن والتخلي عن مفهوم الماكن نهائيا ويستعين بإنتقاء لغوي جديد بإدخاله لمفهوم هو ereignis أي تعايش وملكية مشتركة بين الإنسان والوجود. حيث يتم التفكير في الوجود في ذاته من خلال الرؤية العينية التي من خلالها ينقل الوجود في ذاته إلى حيز الظهور. ولأن ثنائية الإنسان والوجود لا تفرقان ابدا يحاول هيدجر أن يتبنى ويدافع عن المميتافيزيقا التي كلما حاولنا تجاهلها أو رفضها فإنها تظهر من خلال كينونتنا الوجودية وهو الأمر الذي تفسره كتاباته في الخمسينيات عندما استحضر مجددا مفهوم eon لكي يبرز الوجود كهوية موحدة بالرغم من كون ثنائية الوجود - الكيونة كصفتين متميزتين عن بعضهما ورغم ذلك متعايشتان في الذات الواحدة.

ولا بأس أن نشير إلى أن كارناب في مقالة له عنوانها نقض الميتافيزيقا يحمل على هيدجر العديد من الأخطاء والانتقادات القوية والتي فحواها تبيان أن القضايا الميتافيزيقية تتسم بالتناقضات المنطقية والتي لا يمكنها أن تدلي بالمعنى الصحيح للمسائل الفكرية والظواهر الأخرى. الأمر الذي جعله يصفها أي الميتافيزيقا بأنها عالم من اللا معنى، ولذلك كان يدعو إلى الابتعاد عنها تبعث الأخطاء ومنبع التناقض الفكري الذي يعيق التفكير السليم ويكبل الحكم. باستعادة هيدجر للإيون يستحضر المعنى الحقيقي للفينومينولوجيا كما يعترف هو شخصا في لمؤتمر الأخير له عام 1976 فظهور الشيء ورؤيته حاضرا يعني لهايدجر المفهوم الحقيقي للوجود والذي في ذاته ليس ظاهرا لكن نصل إليه عبر التأمل الذي تمارسه الذات لذاتها كطبيعة فيها حيث تدرك وتظهر ما لا يظهر. إنها تدرك الوجود وحينما سئل هيدجر عن موقف هوسرل من قضية الوجود وصفه بأنه بقي مكبلا بالأفكار التي ملأت الأفق الفلسفي لديكارتى، إذ أنه يؤمن بالطبيعة

المحايدة للذات بينما عندما ننقل إلى الدازين فإننا نتواجد في أفق آخر هو أفق زمني اكستاتيكي أي أفق الجذب والانخراط والذي يفرض علينا ترك الأفكار السابقة التي ملأت فضاء العصر الحديث تلك التي تذهب إلا أن الإنسان هو صانع الواقع وهو سيد لأحداث التي تحدث فيه ولكن يدعونا إلى العود مجدداً إلى الفلسفة اليونانية التي أقرت من خلال بارميندس بأن الإنسان ليس موضوع للتفكير وإنما موضوع التفكير هو الوجود.

رؤية الظاهرة: إن المعنى الوصفي لكلمة الظاهرة تعني المرئي العيني، إن رؤية الظاهرة عند حضور الشيء لا يعني أبداً ما نفهمه أبداً بظهور شيء كما تلتقطه الحواس وإنما المقصود به عند هيدجر هو المعلن عن الذي لا يمكنه الظهور إلا من خلال شيء آخر. فالظاهرة إذا هي الشيء الذي لا يمكن تجسده وإنما ما يظهر و الظاهرة لمؤسسة على الفينومان هو ما يعلن عن نفسه من خلال ظهوره في موضوع آخر الثنائية المتعايشة الوجود - الإنسان.

فالظاهرة هي جوهر الكينونة في وجوده ككينونة لذلك كانت الفينومينولوجيا عند هيدجر فينومينولوجيا الدازين ولم تعد كما كانت عند هوسرل فينومينولوجيا هوسرل.

III - (أوجين، فينك، 1905-1975):

أهم أعماله عناصر نقدية لفلسفة هوسرل 1940:

نقد منهج الوصف الفينومينولوجي:

ومن الفلاسفة الذين قدموا انتقادا للمنهج الفينومينولوجي لا سيما هيدجر نذكر واحدا من تلامذة هوسرل أيضا هو "فينك" Fink- ، الذي كان معيدا لهوسرل في سنة 1928، حيث إن أهم مقالة له كانت في عام 1940 ، عنوانها **عناصر نقدية لفلسفة هوسرل** جاء فيها أهم العناصر الفلسفية في **نقد منهجية الوصف الفينومينولوجية** والتي سنعرض لها في هذه السطور المقتبضة والتي هي جزء من المحاضرة المعطاة سابقا.

مفهوم الوصف: الوصف الفينومينولوجي ليس مجرد إحصاء للأشياء أو مجرد تصنيف لها كما وأنه ليس توصيفا كتعبير إنشائي أو أدبي كإضفاء صبغة خيالية على ما هو حاصل في الواقع. منهج الوصف الفينومينولوجي يتمثل في القصدية المتوجهة نحو موضوعها بحيث تقصد في الموضوع الجوانب التي تظهر هورا حضوريا عينيا. وهكذا نتمكن من وصف الموضوع ومعرفته معرفة حقيقية.

مفهوم الموضوع: بالمعنى الذاتي له حيث يقصد الوعي فيه خطوطه الأساسية بعد أن أزال عنه الجوانب العرضية. وليتم تحديد حقيقة فإنه وجب إظهار الجانب الأساسي فيه وهو ما يسميه هوسرل الأيدوس ويقصد به هوية الموضوع أو ما نطلق عليه اسم حقيقة الموضوع.

فعند هذا المستوى يكون الوصف وصفا خالصا وليس وصفا إمبيريقيا يقف عند الجواب الحسية والجزئية في معرفة الشيء. ويكون الوصف الخالص كفكرة مطلقة لكون وجود نظام معرفي قبلي في الذات وهذه المنظومة القبلية هي التي تمكن من الوصول والولوج إلى حقيقة الموضوع وإدراكه كهوية خالصة. وهذا الأمر يذكرنا من الناحية الأبستمية بأن هوسرل

استحضر البعد التركيبي للمعرفة ويبين شدة تأثره بكانط، الذي أظهر بأن الاحكام التركيبية القبلية وذلك ضمن تفسيره للحقائق وإنما هي حقائق وكيانات عقلية قبلية.

التصور الشامل للموضوع: كما يظهر من خلال ما تقره لمخيلة من التصورات ويتمثل دور المخيلة هنا في الجانب افكري المحض والي يتجاوز حدود المعطى الحسي المباشر ليضع أمام الشعور الأنواع المتخيلة لتأسيس الأبعاد الصورية حيث يفتح أمامنا المجال الممكن فكريا، ذلك لأن المخيال هنا يقصد به الفكري الخالص وكلما تكلمنا عن ما هو فكري خالص إنما نحن نقصد به عالم ممكن ويتم غدراك الموضوع في حقيقته لخالصة بقصدية الأنا موضوعها الواقع كظاهرة والذي لا يتوقف عند هذا الحد كحضور الظاهرة أو الشيء أمامنا ولكن يسوق هذا الإدراك معاني الموضوعات المتخيلة كجزء من أجزاء الموضوع الحاضر والتي تؤسس العوالم الممكنة. كالكيانات الصورية المطلقة التي توجد في الذات وجودا قبليا بديها. إن المنهج الوصفي هنا ليس وصف سيكولوجيا نفسيا وإنما هو حضور الظاهرة أمام الشعور كمعطى ماهوي ولا علاقة له بوصف حالة شعورية كالعواطف أو ما يحدث من انفعال سيكولوجي، الفرق شاسع لأن ما يظهر لا علاقة له بما يحدث في الواقع الحسي إنما هو على المستوى الماهوي هو وصف لظاهرة هي تعطي نفسها وتظهر بنفسها امام الذات وفي القصدية الإبوخية توصف الظاهرة وصفا ماهويا خال من الأبعاد التجريبية الحسية وكل ما يعلق بها من كفيات للشعور.

ولذلك دافع هوسرل كثيرا عن المنه جالوصفي الفينومينولوجي وراء أن يخرجه من دائرة الانتقادات الكثيرة التي طالته والتي رأت فيه مجرد تحليلي استبطاني يستتطق الشعور. وعلى كل فإن دافع هوسرل عن المنهج الوصفي الفينومينولوجي لا يصمد كثيرا أمام الانتقادات التي عرضنا له سواء من فينك أو هيدجر ولكن مايبقى صامدا كالصخرة أمام انجراف الانتقادات للمنهج الهوسرلي هو الكيفية التي يحور بها هوسرل كل نقاده الأمر الذي أثبت نجاعته بحيث عمد إلى استحضر فكرة متعالية

ومفارقة مفادها أن تحليل الظواهر ليس كتحليل أي ظاهرة في ميادين شتى منها العلمية، المخبرية، ومنها النفسية والاجتماعية ولكن يدعو إلى رؤية جديدة مغايرة هو يقول أن نوجه رؤيتنا للظاهرة بالتوجه نحو رؤية جديدة مختلفة، الوجهة التي نسلکها اتجاه رؤيتنا للظاهرة هي التي تختلف عن كل الممارسات والطرق والمنهجيات السابقة. هو رؤية الماهية رؤية خالصة حيث يبقى فيها الموضوع موضوعا حاضرا في الشعور بعد ان انتقلنا وتحولنا من الواقع الحسي إلى واقع الظاهرة الخالص أي الماهوي أي EIDOS.